الحاوى

فى سيرة الإمام أبى جعفر الطحاوى

رضى الله عنه

بقلم

محمد زاهد الكوثرى

مطبعة الأنوار المحمدية

٤ شارع الطوابة ميدان أحمد ماهر ت ٩٠٨١٥



الحمد لله الذى رفع مقام العلماء العاملين ، فى الأولين والآخرين ، وشرف قدرهم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وكافأهم مكافأة المحسنين ، بخدمتهم فى الدين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فان الإمام أبا جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى رضى الله عنه من أعاظم المجتهدين فى الفقه الإسلامى ، وقد خلف مؤلفات عظيمة النفع للغاية ، فى علوم الرواية والدراية . وقد جمع بين براعتين : البراعة فى علوم الحديث والبراعة فى الفقه وأصوله جمعاً قل من جمع بينهما جمعه فى علماء هذه الأمة ، كما يعترف بذلك من نهل من مناهل آثاره الفياضة ، فأحببت إفراد ترجمته بنوع من الإفاضة ، فى رسالة سميتها : (الحاوى فى سيرة الامام أبى جعفر الطحاوى) رحمه الله ، ورضى عنه وأرضاه ، عرفانا لجميله ، وقياما ببعض ما يجب فى تبجيله ، والله سبحانه ولى التوفيق ، والهادى إلى أقوم طريق .

نسب الطحاوى وميلاده

عداده فى حجر الأزد من قبائل اليمن سكن أجداده مصر بعد الفتح الاسلامي ، والحجر بفتح الحاء وسكون الجيم فخذ من أفخاذ قبيلة الأزد المعروفة ، ويقال للأزد هذه أزد الحجر تمييزاً لها من أزد شنوءة والأزد بفتح الهمزة وسكون الزاى لها أفخاذ كثيرة شرحها فى كتب أنساب العرب ، وقد ساق مسلمة بن القاسم القرطبي نسب أبى جعفر الطحاوى فى كتابه المعروف بالصلة لكونه ذيلا لتاريخ

البخارى الكبير فقال : هو (أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة ابن سليم بن سليمان بن جواب الأزدى ثم الحجرى المصرى الطحاوي الإمام المحدث الفقيه الحنفى الحافظ أبو جعفر) .

ووقف الحافظ ابن عساكر فى سوق نسبه عند سليم . وابن خلكان عند عبد الملك . واختلفوا فى ميلاده ، فقال ابن عساكر نقلا عن ابن يونس أنه ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين وعليه اقتصر الذهبي وأبو المحاسن لكنّ قال البدر العينى فى نخب الأفكار : (قال السمعانى : ولد الطحاوى سنة تسع وعشرين ومائتين وهو الصحيح . وقال أبو سعيد بن يونس : قال الطحاوى ولدت فى سنة تسع وعشرين) ، وهذا يخالف ما حكاه ابن عساكر عن ابن يونس ، وتاريخ ابن يونس من التواريخ التى لم نظفر بها ، ولابد أن أحدهما وهمٌ إلا أن الثانى بخط المؤلف ، وقال ابن خلكان : (وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين ومائتين . وقال أبو سعد السمعانى : ولد سنة تسع وعشرين ومائتين وهو الصحيح ، وزاد غيره ، فقال : ليلة الأحد لعشر خلون من ربيع الأول) . وقال ابن كثير : (أبو جعفر الطحاوى ، نسبة إلى قرية بصعيد مصر ، الفقيه الحنفى صاحب المصنفات المفيدة ، والفوائد الغزيرة ، وهو أحد الثقات الأثبات ، والحفاظ الجهابذة وهو ابن أخت المزنى ... وذكر أبو سعد السمعانى أنه ولد فى سنة تسع وعشرين ومائتين ، فعلى هذا يكون قد جاوز التسعين والله أعلم) هكذا اقتصر ابن كثير على هذا الميلاد كما فعل ابن نقطة الحافظ فى « التقييد لمعرفة رواة المسانيد » وذكر أن مولده سنة تسع وعشرين ومائتين ، وقال البدر العينى : (فعلى هذا كان عمر الطحاوى حين مات أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى صاحب الصحيح سبعاً وعشرين سنة لأن البخارى مات سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان عمره حين مات مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح

اثنين وثلاثين سنة لأن مسلماً مات فى سنة إحدى وستين ومائتين ، وشاركه الطحاوى فى روايته — عن بعض شيوخه — وكان عمره حين مات أبو داود صاحب السنن ستاً وأربعين سنة لأن أبا داود مات فى سنة خمس وسبعين ومائتين وشاركه أيضاً فى روايته - عن بعض شيوخه - وكان عمره حين مات أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى صاحب الجامع خمسين سنة ، لأن الترمذى مات فى سنة تسع وسبعين ومائتين ، وكان عمره حين مات أحمد بن شعيب بن على النسائى أربعاً وسبعين سنة لأن النسائى مات فى سنة ثلاث وثلاثمائة وشاركه أيضاً فى روايته ، وروى الطحاوى عنه أيضاً ، وكان عمره حين مات محمد بن يزيد بن ماجه صاحب السنن أربعاً وأربعين سنة لأن ابن ماجه مات فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين وشاركه أيضاً فى روايته — عن بعض شيوخه — وكان عمره حين مات الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله اثنتى عشرة سنة لأن أحمد مات سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وكان عمره حين مات يحي بن معين أربع سنين ، لأن يحي بن معين مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وهذا كله على القول الصحيح أن مولده سنة تسع وعشرين ومائتين ، وكذا ذكر مولده الحافظ محمد بن عبد الغنى بن أبى بكر بن نقطة البغدادى فى كتابه (التقييد لمعرفة رواة المسانيد)[1] فى باب الأحمدين فى ترجمة أبى جعفر الطحاوى .

فهكذا كما رأيت قد عاصر الطحاوى هؤلاء الأئمة الحفاظ الكبار وشارك بعضهم فى رواياتهم ، فإن من جملة مشايخ الطحاوى هارون بن سعيد الايلى . وقد روى عنه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه قال الحافظ عبد الغنى (المقدسى) فى الكمال فى ترجمة هارون بن سعيد : روى عنه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأبو حاتم ، ومن جملة مشايخه الربيع بن سليمان الجيزى . وقد روى عنه

(١) وهو من مخطوطات مكتبة الأزهر ، وفيه خروم (ز) .

أبو داود والنسائي، قال في الكمال: الربيع بن سليمان الجيزي المصري الأعرج روى عنه أبو داود والنسائي وعبد الله بن حمدان وأبو جعفر الطحاوي) ثم قال: (وستقف على مثل هذا كثيراً في أثناء الكتاب عند ذكر مشايخ أبي جعفر الطحاوي الذين روى عنهم وكتب وحدث).

كثرة شيوخ الطحاوي في العلم

وكثرة تلاميذه والرواة عنه

وقد جمع مشايخ الطحاوي في جزء واحد عبد العزيز بن أبي طاهر التميمي، فمن شيوخه خاله المزني وقد سمع منه كثيراً وروى عنه سنن الشافعي، قال ابن يونس سمع الطحاوي من خاله المزني كثيراً وروى عنه مسند الشافعي، قال العيني: قلت وروايته عنه كثيرة في تصانيفه. ولا سيما في معاني الآثار وأن غالب من يروى مسند الشافعي إلى يومنا هذا يروون عن طريقه. اهـ. أقول إن الأحاديث المروية عن الشافعي بطريق الطحاوي هي من جمع الطحاوي من مسموعاته من المزني عن الشافعي رضي الله عنه فيعرف هذا المجموع بسنن الشافعي وسنن الطحاوي وله نسخ في غاية الصحة وعليها خطوط التسميع طبقة فطبقة منها النسخة المحفوظة في مكتبة أيا صوفيا بالآستانة، والنسخة المطبوعة جيدة أيضاً إلا أن ما جمعه ابن مطر النيسابوري من مسموعاته من أبي العباس الأصم صاحب الربيع المرادي عن الربيع عن الشافعي مما هو مسموعه في كتاب الأم في حاجة ماسة إلى التهذيب والاصلاح، فقام بذلك الحافظ محمد عابد السندي في كتابه (ترتيب مسند الشافعي) حيث رتبه وحذف المكرر منه فأصبح هذا العمل منه نافعاً والله سبحانه يكافئه على هذا، فنتمنى أن يقوم بعض أهل الشأن بنشر هذا المسند المرتب المهذب ليعم نفعه، لأن ما سبق طبعه

أن مسند الشافعي من رواية أبي العباس الأصم في الهند ومصر لا يخلو من أغلاط فظيعة . وقال ابن عساكر في تاريخه في ترجمة الطحاوي : سمع هارون بن سعيد الايلي ، وأبا شريح محمد بن زكريا كاتب العمري وأبا عثمان سعيد بن بشر بن مروان الرقي ، والربيع بن سليمان الجيزي ، وأبا الحارث أحمد بن سعيد الفهري ، وعلي بن معبد بن نوح ، وعيسى بن ابراهيم الغافقي ، ويونس بن عبد الأعلى ، وأبا قرة محمد بن حميد الرعيني ، ومالك بن عبد الله التجيبي ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وابراهيم ابن منقذ الخولاني ، وابراهيم بن مرزوق ، وبحر بن نصر الخولاني ، وسليمان بن شعيب الكيساني وجماعة غير من سميت . وقال ابن عساكر في ترجمة النسائي : إن الطحاوي روى عن النسائي ، وقال أبو سعيد بن يونس : سمع الطحاوي الحديث من خلق من المصريين والغرباء القادمين إلى مصر ، منهم : سليمان بن شعيب الكيساني ، وأبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفي ، وقال البدر العيني : شارك فيه مسلما وغيره وقال عبد الغني في الكمال : يونس بن عبد الأعلى الصدفي أبو موسى المصري روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وابنه عبد الرحمن ومسلم والنسائي وابن ماجه . وروى عن الطحاوي خلق كثير وقد أفرد بعض أهل العلم ، الذين رووا عنه بالتأليف في جزء ، فمن أخذ عنه أبو الحسن علي بن أحمد الطحاوي ، وأبو محمد عبد العزيز بن محمد التميمي الجوهري قاضي الصعيد ، وأبو بكر مكي بن أحمد بن سعدويه البردعي ، وأبو القاسم مسلمة بن القاسم بن ابراهيم القرطبي ، وأبو القاسم عبيد الله بن علي الداودي القاضي شيخ أهل الظاهر في عصره ، والحسن بن القاسم بن عبد الرحمن أبو محمد المصري الفقيه ، وابن أبي العوام القاضي الكبير ، وأبو الحسن محمد بن أحمد الأخميمي ، وميمون بن حمزة العبيدلي ، ويوسف بن القاسم الميانجي ، وأحمد ابن عبد الوارث الزجاج ، ومحمد بن بكر بن مطروح ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن

منصور الدامثانى الأنصارى القاضى ، وأبو سليمان محمد بن عبد الله بن زبر وغيرهم . وروى عنه من المشايخ الأجلاء الأثبات : الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى صاحب المعجم ، والحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المصرى صاحب التاريخ ، والحافظ المفيد أبو بكر محمد بن جعفر بن الحسين البغدادى ، المعروف بغندر ، والحافظ أبو بكر محمد بن ابراهيم بن على المقرئ — سمع منه كتاب معانى الآثار . وهو راويته فى أسانيد الرواة على توالى الطبقات — والحافظ أحمد بن القاسم بن عبد الله البغدادى المعروف بابن الخشاب ، والحافظ محمد بن المظفر بن موسى أبو الحسين البغدادى — سمع منه بمصر سنن الشافعى بروايته عن خاله اسماعيل بن يحي المزنى ، كذا قال الحافظ ابن نقطه فيما ذكره البدر العينى .

سرد اسماء شيوخ الطحاوى

على ترتيب الحروف

(ا) : ابراهيم بن أبى داود البرلسي ، ابراهيم بن منقذ الخولانى ، ابراهيم بن محمد الصيرفى ، ابراهيم بن مرزوق البصرى ، ابراهيم بن على بن عبد الرحمن بن محمد ابن المغيرة ، ابراهيم بن أحمد بن مروان ، أحمد بن الحسن بن القاسم الكوفى ، أحمد بن داود بن موسى السدوسي ، أحمد بن سهل الرازى ، أحمد بن أصرم المزنى ، أحمد بن مسعود المقدسى ، أحمد بن سعيد الفهرى ، أحمد بن محمد بن حماد. أبو بشر الدولابى ، أحمد بن يوسف ، أحمد بن خالد بن يزيد الفارسى ، أحمد بن عبد الله ابن عبد الرحيم البرقى ، أحمد بن حماد التجيبى ، أحمد بن محمد بن يحي بن سعيد القطان ، أحمد بن محمد بن سلام البغدادى ، أحمد بن محمد بن بشار ، أحمد بن خلف ، أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، أحمد بن شعيب النسائي ، أحمد بن عبد المؤمن

المروزي ، أحمد بن أبي عمران موسى البغدادي ، اسحاق بن ابراهيم بن يونس البغدادي الوراق ، اسحاق بن اسماعيل الايلي ، اسحاق بن الحسن بن الحسين الطحان المروزي ، اسماعيل بن اسحاق بن سهل الكوفي ، اسماعيل بن حمدويه البكائي ، اسماعيل بن يحيي المزني خاله .

(ب) : بحر بن نصر بن سابق الخولاني ، بكار بن قتيبة البصري ، بكر بن إدريس بن الحجاج بن هارون الأزدي .

(ج) : جعفر بن سليمان بن محمد الهاشمي ، جعفر بن أحمد بن الوليد الأسلمي .

(ح) : الحجاج بن عمران المازني ، الحسن بن عبد الله بن منصور البالسي . الحسن بن عبد الأعلى الصنعاني ، الحسن بن غايب بن سعيد الأزدي ، الحسين بن نصر بن المبارك البغدادي ، حكيم بن سيف الرقي .

(ر) : الربيع بن سليمان الأزدي الجيزي ، الربيع بن سليمان المرادي ، روح بن الفرج أبو الزنباع .

(ز) : زكريا بن يحيي بن أبان .

(س) : سعيد بن بشر بن مروان الرقي ، سعيد بن سليمان الواسطي ، سليمان ابن شعيب الكيساني .

(ص) : صالح بن حكيم التمار البصري ، صالح بن شعيب بن أبان البصري ، صالح بن عبد الرحمن الأنصاري .

(ط) : طاهر بن عمرو بن الربيع بن طارق .

(ع) : عبد الله بن محمد بن خشيش البصري ، عبد الله بن أبي داود ، عبد الرحمن

ابن عمرو الدمشقي أبو زرعة ، عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، عبد الرحمن ابن الجارود بن عبد الله بن زاذان الكوفي ، عبد العزيز بن معاوية الغساني ، عبد الملك بن مروان الرقي ، عبد الله بن أحمد بن زكريا بن الحارث بن أبي ميسرة المكي ، عبد الغني بن رفاعة اللخمي ، عبيد بن رجال المصري ، علي بن شيبة البصري علي بن معبد بن نوح ، علي بن سعيد بن بشر الرازي ، علي بن عبد العزيز صاحب أبي عبيد - ويطريقه يروى قراءات عاصم والأعمش وحمزة والكسائي إجازة - علي بن أحمد بن سليمان ، علي بن الحسين بن عبد الرحمن بن فهم ، علي بن زيد الفرائضي ، علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة المخزومي علان ، علي بن عبد الرحمن الأنصاري ، عمران بن موسى الطائي . عمر بن ابراهيم بن يحيي البغدادي ، عيسى بن ابراهيم بن مثرود الغافقي ، عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي أبو خازم .

(ف) : فهد بن سليمان المكي .

(ق) : القاسم بن عبيد الله بن مهدي الأخميمي ، القاسم بن محمد بن جعفر البصري .

(ل) : الليث بن عبدة بن محمد المروزي .

(م) : محمد بن سليمان بن هشام الخزاز (اليشكري) ، مبشر بن الحسن بن مبشر البصري ، محمد بن علي بن داود البغدادي ، محمد بن عبد الله بن عبد الحكم . محمد بن سنان الشيزري ، محمد بن خزيمة بن راشد الأسدي ، محمد بن جعفر الفريابي ، محمد بن عمرو بن يونس الكوفي ، محمد بن حرملة . محمد بن أحمد بن العباس الرازي إجازة ، محمد بن عبد الله بن ميمون البغدادي ، محمد بن علي بن زيد المكي ، أبو بكر محمد بن ابراهيم بن جنادة البغدادي ، محمد بن حميد بن هشام أبو قرة الرعيني ، محمد ابن أحمد الكوفي أبو العلاء ، محمد بن اسماعيل بن سالم الصائغ المكي ، محمد بن الحجاج

سليمان الحضرمي ، محمد بن علي بن داود البغدادي ، المطلب بن شعيب بن حبان الأزدي ، محمد بن زكريا كاتب العمري ، محمد بن عبد الرحمن الهروي ، محمد بن ربيعة المكي ، موسى بن الحسن بن عبد الله المروزي السهيلي ، محمد بن العباس بن الربيع اللؤلؤي . محمد بن عزيز الايلي ، محمد بن أحمد بن جعفر الكوفي . محمد بن بحر بن مطير الواسطي ، محمد بن النعمان السقطي ، محمد بن عبد الله بن ميمون البغدادي ، محمد بن هشام الشيزري ، محمد بن حرب النسائي الحمصي ، محمد بن عيسى بن فليح الخزاعي ، محمد بن عيسى بن جابر الرشيدي ، محمد بن عمرو بن تمام الكلبي أبو الكردوس ، محمد بن زياد بن ريان الكلبي ، محمد بن سليمان الباغندي ، موسى بن عيسى المقرىء شيخه في القراءات ، موسى بن النعمان المكي ، محمد بن سلامة الطحاوي أبوه ، محمد بن عبد الله بن عبد الجبار المرادي ، محمد بن أحمد بن جعفر الذهلي الكوفي ، محمد بن جعفر بن محمد بن أعين ، موسى بن الحسن البغدادي ، محمد بن علي بن يزيد المكي ، مالك بن عبد الله بن يوسف التجيبي ، محمد بن رجال ، محمد بن علي بن زيد الحلواني ، محمد بن عبده المروزي ، مسعدة بن خازم ، موسى بن الحسن المروزي ، مالك بن يحيي الهمداني ، محمد بن علي بن محرز البغدادي ، محمد بن يحيي بن مطر البغدادي . مصعب بن ابراهيم بن حمزة الزبيري .

(ن) : نصر بن حرب المسمعي ، نصر بن مرزوق العتقي .

(و) : الوليد بن محمد التميمي أبو القاسم (ولاد) .

(ه) : هارون بن كامل أبو موسى المصري ، هارون بن محمد العسقلاني .

(ى) : يحيي بن عثمان بن صالح السهمي المصري ، يحيي بن نصير ، يحيي بن اسماعيل البغدادي أبو زكريا ، يوسف بن يزيد ، يونس بن عبد الأعلى .

سرد أسماء بعض أصحاب الطحاوى

وقد ذكرت جملة صالحة من أصحاب أبى جعفر الطحاوى فيما سبق . وهم فى غاية الكثرة ولا أريد إطالة الكلام هنا بسرد أسمائهم لقلة جدواها وأكتفي بذكر بعضهم كنماذج فنهم : أحمد بن ابراهيم بن حماد أبو عثمان قاضي مصر حفيد اسماعيل القاضي ، وأحمد بن عبد الوارث الزجاج ، وأحمد بن القاسم بن عبد الله البغدادى الحافظ ، المعروف بابن الخشاب . وأحمد بن محمد بن منصور أبو بكر الأنصارى الدامغانى القاضى ، والحسن بن القاسم بن عبد الرحمن أبو محمد المصرى ، وسليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى الحافظ صاحب المعاجم ، وعبد الله بن أحمد بن زبر أبو محمد القاضى والدأبى سليمان . وعبد الله بن حديد بن الشواء أبو محمد الأرزنى ، وعبد الله بن محمد بن أحمد أبو القاسم المعروف بابن أبى العوام الحافظ القاضي الكبير ، وعبد الرحمن بن اسحاق الجوهرى قاضي مصر ، وعبد الرحمن بن أحمد بن يونس أبو سعيد المصرى الحافظ المؤرخ وعبد العزيز بن محمد التميمى الجوهرى قاضى الصعيد ، وعبيد الله بن على الداودى أبو القاسم شيخ أهل الظاهر فى عصره ، وعلى بن أحمد بن محمد بن سلامة أبو الحسن الطحاوى ابنه ، وعلى بن الحسين بن حرب أبو عبيد قاضى مصر ، ومحمد بن أحمد الأخميمى أبو الحسن ، ومحمد بن ابراهيم بن على المقرىء أبو بكر الحافظ ، ومحمد بن عبد الله بن أحمد بن زبر أبو سليمان الحافظ ، ومحمد بن عبيدة أبو عبيد الله قاضى مصر ، ومحمد بن جعفر بن الحسين البغدادى المعروف بغندر الحافظ المفيد ، ومحمد بن عمر الترمذى أبو الفضل ، ومسلمة بن القاسم بن ابراهيم أبو القاسم القرطبي . ومكى بن أحمد بن سعدويه البردعى أبو بكر ، ومحمد بن المظفر بن موسى أبو الحسين البغدادي الحافظ ، وميمون بن حمزة العبيدلي ، وهشام بن محمد بن أبى خليفة الرعيني

وهشام بن محمد بن قرة المصرى ، ويوسف بن القاسم الميانجى أبو القاسم ، وفى هذا القدر كفاية فى سرد أسماء صحابه وتلاميذه كنماذج لأصحابه من حفاظ الحديث والفقهاء رضى الله عنهم أجمعين .

ثناء أهل العلم على الطحاوى

قال البدر العينى فى نخب الأفكار : أما الطحاوى فانه مجمع عليه فى ثقته وديانته وأمانته ، وفضيلته التامة ، ويده الطولى فى الحديث وعلله وناسخه ومنسوخه ، ولم يخالفه فى ذلك أحد ، ولقد أثنى عليه السلف والخلف ، فقال أبو سعيد بن يونس فى ترجمته فى تاريخ العلماء المصريين : كان الطحاوى ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلا لم يخلف مثله ، وكذا قال الحافظ ابن عساكر ، وقال مسلمة بن القاسم القرطبى فى الصلة كان ثقة جليل القدر فقيه البدن عالما باختلاف العلماء بصيرا بالتصنيف . ثم ذكر كلمة عن ابن الأحمر وسنتحدث عنها ، وقال حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر : كان الطحاوى كوفى المذهب وكان عالماً بجميع مذاهب الفقهاء وفى تاج التراجم قال ابن عبد البر فى كتاب العلم : كان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم ، مع مشاركته فى جميع مذاهب الفقهاء ، وقال الحافظ السمعانى : كان الطحاوى ثقة ثبتاً . وقال ابن الجوزى فى المنتظم : كان الطحاوى ثبتاً فهماً فقيهاً عاقلا من طحا قرية فى صعيد مصر وكذا قال سبطه فى مرآة الزمان ، ثم قال : واتفقوا على فضله وصدقه وزهده وورعه ، وقال الذهبى فى تاريخه الكبير : الفقيه المحدث الحافظ أحد الأعلام ، وكان ثقة ثبتاً فقيها عاقلا ، وقال ابن كثير فى البداية والنهاية ، فى ترجمة الطحاوى : وهو أحد الثقات الاثبات والحفاظ الجهابذة . اﻫ . وقال الصلاح الصفدى فى الوافى : كان ثقة نبيلا ثبتاً فقيها عاقلا لم يخلف بعده مثله . اﻫ . وقال

اليافعي : برع في الفقه والحديث وصنف التصانيف المفيدة . اهـ . وقال السيوطي : الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة وكان ثقة ثبتاً فقيها لم يخلف بعده اهـ.

وقال البدر العيني بعد أن ذكر نصوص كثير ممن أثنوا على الطحاوي : (ولقد أثنى عليه كل من ذكره من أهل الحديث والتاريخ كالطبراني وأبي بكر الخطيب وأبي عبد الله الحميدي والحافظ بن عساكر وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين كالحافظ أبي الحجاج المزي والحافظ الذهبي وعماد الدين بن كثير وغيرهم من أصحاب التصانيف ولا يشك عاقل منصف أن الطحاوي أثبت في استنباط الأحكام من القرآن ومن الأحاديث النبوية ، وأقعد في الفقه من غيره ممن عاصره سنا أو شاركه رواية من أصحاب الصحاح والسنن لأن هذا إنما يظهر بالنظر في كلامه وكلامهم ، ومما يدل على ذلك ويقوى ما ادعيناه تصانيفه المفيده الغزيرة في سائر الفنون من العلوم النقلية والعقلية ، وأما في رواية الحديث ومعرفة الرجال وكثرة الشيوخ فهو كما ترى إمام عظيم ثبت ثقة حجة كالبخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح والسنن . يدل على ذلك اتساع روايته ومشاركته فيها أئمة الحديث المشهورين كما ذكرناهم .

وأما تصانيفه فتصانيف حسنة كثيرة الفوائد ولا سيما كتاب معاني الآثار . فان الناظر فيه المنصف إذا تأمله يجده راجحاً على كثير من كتب الحديث المشهورة المقبولة ، ويظهر له رجحانه بالتأمل في كلامه وترتيبه ، ولا يشك في هذا إلا جاهل أو معاند متعصب ، وأما رجحانه على نحو سنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه ونحوها فظاهر لا يشك فيه عاقل ، ولا يرتاب فيه إلا جاهل ، وذلك لزيادة ما فيه من بيان وجوه الاستنباطات ، واظهار وجوه المعارضات وتمييز النواسخ من المنسوخات ، ونحو ذلك . فهذه هي الأصل وعليها العمدة في معرفة الحديث ، والكتب المذكورة غير مشحونة بها كما ينبغي . كما ترى ذلك وتعاينه . فإن ادعى

المدعى كونه مرجوحا بوجود بعض الضعفاء والأسقاط فى رجاله فيجاب بأن السنن المذكورة ملأى بمثل ذلك . بل وقد قيل أنها لا تخلو عن بعض أحاديث باطلة وأحاديث موضوعة . وأما الأحاديث الضعيفة فكثيرة جداً . وأما سنن الدارقطني أو الدارمي أو البيهقى ونحوها فلا تقارب خطوة ولا تدانى حقوة . ولا هى مما تجرى معه فى الميدان . ولا مما تعادل معه فى كفتى الميزان . ولم يظهر رجحان هذا الكتاب عند كثير من الناس لكونه كنزاً مخفياً ومعدناً مخبياً . لم يصادفه من يستخرج ما فيه من العجائب . ولم يعثر عليه من يستنبط ما فيه من الغرائب . فلم يبرح الكمون والاختفاء . ولم يبرز على منصة الاجتلاء . حتى كاد أن تضيف شمسه إلى الأفول . وبدره إلى النحول . وذلك لقصور فهم المتأخرين وتركهم هذا الكتاب . واشتغالهم بما لا يفيد شيئا فى هذا الباب . مع استيلاء المخالفين المتعصبة على بقاع معاره . وتحامل الخصوم المعادية على اندراس معالمه وآثاره ، ولكن الله يحق الحق ويبطل الباطل حيث خلق أناسا قاموا بحقوقه وأحيوا مواته ؛ وقضوا من محاسن معالمه ما فاته ؛ فظهر له الترجح على أمثاله ، والتفوق على أشكاله . اهـ .

وتلك بعض ما قاله أعلام العلماء فى الثناء على الطحاوى الجدير بكل ثناء .

نشأة الطحاوى على مذهب خاله ثم انتقاله منه

أبو ابراهيم اسماعيل بن يحي المزنى أفقه أصحاب الإمام الشافعى وأحدّهم ذكاء كان خال الطحاوى فأخذ يتفقه عليه فى نشأته ، فكلما تقدم فى الفقه كان يجد نفسه بين تدافع مد وجزر فى التأصيل والتفريع ، وبين إقدام وإحجام ، فى النقض والابرام ، فى قديم المسائل وحديثها ، وكان لا يجد عند خاله ما يشفي غلته فى بحوثه فأخذ يترصد ما يعمله خاله فى المسائل الخلافية ، فاذا هو كثير المطالعة

لكتب أبي حنيفة فينفرد عن إمامه منحازاً إلى رأى أبي حنيفة فى كثير من مسائل سجلها فى مختصره ، فأخذ يطلع على المنهج الفقهى عند أهل العراق فاجتذبه حتى أخذ يتفقه على أحمد بن أبي عمران القادم من العراق بعد أن اطلع على رد بكار بن قتيبة على كتاب المزنى ؛ فأصبح فى عداد المتخيرين لهذا المنهج نابذاً مذهبه القديم فأثار ذلك بعض ضجة حيكت حولها حكايات ، فأسوقها مع ما لها وما عليها بمبلغ علمى فيختار القارىء ما يراه أقرب إلى الصحة من تلك الروايات . وأشهر تلك الروايات ما ذكره أبو اسحاق الشيرازى الشافعى فى طبقات الفقهاء وإليك نصه : (انتهت إلى أبي جعفر — الطحاوى — رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر ، أخذ العلم عن أبي جعفر أحمد بن أبي عمران وأبي خازم وغيرهما وكان شافعيا يقرأ على المزنى ، فقال له يوما : والله لا جاء منك شيء . فغضب من ذلك وانتقل إلى ابن أبي عمران ، فلما صنف مختصره ، قال : رحم الله أبا ابراهيم ، لو كان حيا لكفر عن يمينه) . وهذا خبر خال عن السند[1] و (لا جاء) بصيغة الماضى ، والحلف على الماضى غموس أو لغو لا يوجب الكفارة فى مذهب المزنى و (شيء) بمعنى شيء يعتد به فى باب العلم بقرينة المقام . والطحاوى أعلى مقاما فى العلم من أن يجهل حكم الحلف على الماضى فى المذهبين فيكون مع الخبر ما يكذبه ، وأما رواية السلفي فى معجم شيوخه عن أحمد بن عبد المنعم الآمدي عن محمد بن علي الدامغانى عن القدورى ، أن المزنى قال للطحاوى يوما : (والله لا أفلحت فغضب وانتقل من عنده وتفقه على مذهب أبي حنيفة . . وكان يقول : رحم الله أبا ابراهيم لو كان حيا ورآنى لكفر عن يمينه) فعلى صيغة الماضى أيضا فلا يوجب الحلف على الماضي

(١) وهو مأخوذ من كلام الصيمرى ، يرويه عن أبي بكر محمد بن موسى الخوارزمى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ وهو لم يدرك زمن الطحاوى ولا عزا الى من أدرك ، فتكون هذه الحكاية من الحكايات المرسلة على عواهنها (ز) .

الكفارة فى المذهبين على أن هذا الخبر مقطوع للمفازة بين القدورى والطحاوى .
وأما ماذكره ابن عساكر فى تاريخه من قوله (وبلغنى أن سبب تركه لمذهب الشافعى أنه تكلم يوما بحضرة المزنى فى مسألة ، فقال له المزنى: والله لا تفلح أبداً . فغضب من قول المزنى وانقطع إلى أبى جعفر بن أبى عمران وقال بقول أبى حنيفة حتى صار رأسا فيه فاجتاز بعد ذلك بقبر المزنى فقال : يرحمك الله يا أبا ابراهيم لو كنت حيا لكفرت عن يمينك) فخاف على المستقبل لكنه كلام لا سند له لأنه من بلاغاته كما ترى . وقال ابن عساكر : قرأت على أبى محمد السلمى عن عبد العزيز بن أحمد ، قال : قرأت على أبى الحسين على بن موسى بين الحسين السمسار ، قال : قال لنا أبو سليمان بن زبر قال : قال لى أبو جعفر الطحاوى : (أول من كتبت عنه الحديث ، المزنى ، وأخذت بقول الشافعى ، فلما كان بعد سنين قدم أحمد بن أبى عمران قاضيا على مصر فصحبته وأخذت بقوله . وكان يتفقه للكوفيين . وتركت قولى الأول فرأيت المزنى فى المنام. وهو يقول لى: يا أبا جعفر اغتصبك أبوجعفر يا أبا جعفر اغتصبك أبوجعفر) وليس فى هذا حاف . وقال أبو يعلى الخليلي فى الإرشاد عن محمد بن أحمد الشروطى (أنه قال للطحاوى : لم خالفت مذهب خالك ؟ واخترت مذهب أبى حنيفة ، فقال لأنى كنت أرى خالى يديم النظر فى كتب أبى حنيفة فلذلك انتقلت إليه) هكذا فى نقل البدر العينى وابن خلكان ، يعنى فبدأت أديم النظر فيها فاجتذبتنى إلى المذهب كما حملت تلك الكتب خالى على الانحياز إلى أبى حنيفة فى كثير من المسائل كما يظهر من مختصر المزنى ومخالفاته للشافعى فيه فى كثير من المسائل . وقول الطحاوى نفسه فى سبب انتقاله هو الجدير بالتعويل . وباقى الحكايات لا تخلو من مأخذ سنداً ومتنا كما سبق؛ فليأخذ القارى بما يطمئن إليه بعد الإلمام بأطراف هذا الحديث، ومما يلاحظ هنا أن أبى عمران الذى يقال أن الطحاوى انتقل إلى مجلسه تاركا مجلس خاله إنما ولى

قضاء مصر بعد القاضي بكار[١] وهو توفي سنة ٢٧٠ هـ بمصر بعد وفاة المزني سنة ٢٦٤هـ بمدة كبيرة ، وقد قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (٣ — ٢٩) وأما ابن أبي عمران الحنفي[٢] فكان قاضي الديار المصرية بعد القاضي بكار اهـ . وأبو سليمان بن زبر الحافظ من كبار أصحاب الطحاوي قد حكى من لفظه ما سبق ذكره مع السند إليه فيكون الاعتماد على حكاية ابن زبر والشروطي لكون قولهما متلقى من الطحاوي مباشرة . والله أعلم . والذى حكاه ابن حجر فى اللسان : (أنه كان أولا على مذهب الشافعي ثم تحول إلى مذهب الحنفية لكائنة جرت له مع خاله المزنى : وذلك أنه كان يقرأ عليه فمرت مسألة دقيقة فلم يفهمها أبو جعفر فبالغ المزنى فى تقريبها له فلم يتفق ذلك فغضب المزنى متضجراً ، فقال والله لا جاء منك شيء . فقام أبو جعفر من عنده وتحول إلى أبي جعفر بن أبي عمران وكان قاضى الديار المصرية بعد القاضى بكار فتفقه عنده ولازمه إلى أن صار منه ما صار . هـ) ثم حكى ما قاله أبو اسحاق الشيرازى فى الطبقات من قول يعزى إلى الطحاوى بعد تصنيفه المختصر : (لو كان المزنى حيا

---

(١) قال ابن خلكان : كان أحمد بن طولون يدفع الى القاضى بكار فى العام ألف دينار سوى المقرر له فيتركها بكار بختمها ولا يتصرف فيها فلما دعاه ابن طولون لخلع الموفق من ولاية العهد امتنع . فاعتقله وطالبه بحمل الذهب فحمله إليه بختومه . وكان ثمانية عشر كيساً وفى كل كيس ألف دينار فاستحى ابن طولون عند ذلك من الملأ وقال أبو المحاسن: قلت هذا هو القاضى الذى فى الجنة رحمه الله ولم يعين قاض بدله إلى وفاته اكتفاء بنيابة محمد بن شاذان الجوهرى عنه مدة اعتقاله . وترجمة بكار فى غاية العظمة ، قال الطحاوى فى تاريخه الكبير : ما تعرض أحد لبكار فأفلح كما فى طبقات القرشى (ز)

(٢) أحمد بن أبى عمران موسى بن عيسى البغدادى الامام أبو جعفر الفقيه قاضى الديار المصرية من أكابر الحنفية تفقه على محمد بن سماعة . وحدث عن عاصم بن على وطائفة . روى الكثير وهو شيخ الطحاوى مات فى المحرم سنة خمس وثمانين ومائتين بمصر . وثقه ابن يونس فى تاريخه كما فى حسن المحاضرة للسيوطى : وله كتاب الحجج (ز)

لكفر عن يمينه) وقال شرحا لقوله هذا : يعني الذي حلفه أنه لا يجيء منه شيء .
فحول الماضي إلى المستقبل كما ترى ، ثم قال : (وتعقب هذا بعض الأئمة بأنه لا يلزم المزني في ذلك كفارة لأنه على غلبة ظنه . ثم قال : ويمكن أن يجاب عن أبي جعفر بأنه أورد ذلك على سبيل المبالغة . ولا شك أنه تستحب الكفارة في مثل ذلك ولو لم يقل بالوجوب ، وليس يخفى مثل ذلك على أبي جعفر . لكن قرأت بخط المنذري أن الطحاوي إنما قال ذلك كما يعير المزني . فأجابه بعض الفقهاء بأن المزني لا يلزمه الحنث أصلا لأن من ترك مذهب أصحاب الحديث وأخذ بالرأي لم يفلح . هـ) وهذا تصرف طريف من ابن حجر . وفيه كثير من العبر . ومن المعلوم أن الغباء الفطري قلما يتحول إلى ذكاء بممارسة العلم . وكتب الطحاوي شهود صدق على ذكائه الفطري . ومثله لا يكون ممن لا يفهم المسألة مهما بولغ في تقريبها ، كما أن المزني لا يستعصي عليه بيان مسألة بحيث لا يفهمها مثل الطحاوي في اتقاد ذهنه . على أن المزني ممن ورث رحابة الصدر والصبر أمام تلاميذه من إمامه العظيم البالغ الذكاء ، الصابر على تعليم من في فهمه بطء من أصحابه . وقد حكى أبو بكر القفال المروزي في فتاواه : (أن الربيع المرادي ـ راوية المذهب الجديد ـ كان بطيء الفهم فكرر عليه الشافعي مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم وقام من المجلس حياء ، فدعاه الشافعي في خلوة وكرر عليه حتى فهمه) ـ كما نقله ابن السبكي ـ فمن البعيد أن لا يصبر المزني مع الطحاوي في التعليم ، وهو ابن أخته ، ويتسرع في الحلف بتلك الصورة البعيدة عن الاتزان ، وأما دعوى أنهم هم أهل الحديث دون الآخرين فشنشنة تعودنا أن نسمعها من أفواه أناس فقدوا سلامة التفكير ، فلو فكروا جيداً في مبلغ توسع أصحابهم في قياس الشبه والمناسبة ورد المرسل ، مع التساهل في قبول الأحاديث عن كل من هب ودب ، ودرسوا جيداً مسند أبي العباس الأصم لأقلعوا عن ادعاء أنهم هم الذين

يأخذون بالسنة دون سائر الطوائف من فقهاء هذه الأمة ، وليس بين طوائف أهل السنة من لا يتخذ الحديث ثانى أصول الاستنباط لكن بعد تصفيته بمصفاة النقد القويم متناً وسنداً ، لا بالاسترسال فى قبول مرويات النقلة من غير بحث ولا تنقيب عن كل ما ورد فى البحث الموضوع على مشرحة التمحيص والله ولى الهداية .

سعة دائرة رواية الطحاوى عن شيوخ عصره

من اطلع على تراجم شيوخ الطحاوى علم أن بينهم مصريين ومغاربة ويمنيين وبصريين وكوفيين وحجازيين وشاميين وخراسانيين ومن سائر الأقطار فتلقى منهم ما عندهم من الأخبار والآثار ، وقد تنقل فى البلدان المصرية وغير المصرية لتحمل ما عند شيوخ الرواية فيها من الحديث وسائر العلوم ، وكان شديد الملازمة لكل قادم إلى مصر من أهل العلم من شتى الأقطار ، حتى جمع إلى علمه ما عندهم من العلوم ، وسمع من أصحاب ابن عيينة وابن وهب وهذه الطبقة وخرج إلى الشام فسمع ببيت المقدس وغزة وعسقلان وتفقه بدمشق على القاضى أبى خازم عبد الحميد كما تفقه بمصر على ابن أبى عمران وبكار بن قتيبة وكان يتردد إلى القضاة الواردين إلى مصر يستقي ما عندهم من العلوم حتى أصبح واحد عصره فى تحقيق المسائل ، وتدقيق الدلائل بحيث يرحل إليه أهل العلم من شتى الأقطار ليستمتعوا بغزير علومه على اختلاف مسالكهم ومذاهبهم ، وكانوا يتعجبون جداً من سعة دائرة استبحاره فى شتى العلوم ، قال ابن زولاق فى قضاة مصر : حدثنى عبد الله بن عمر الفقيه سمعت أبا جعفر الطحاوى يقول كان لمحمد بن عبدة القاضى مجلس للفقه عشية الخميس يحضره الفقهاء وأصحاب الحديث فاذا فرغ وصلى المغرب انصرف الناس ولم يبق أحد إلا من تكون له حاجة فيجلس ففي ليلة رأينا إلى جنب القاضى شيخا عليه عمامة طويلة وله لحية حسنة لا نعرفه فلما

ورع المجلس وصلى القاضي التفت فقال يتأخر أبو سعيد يعني الفارابي وأبو جعفر وانصرف الناس ثم قام يتركع فلما فرغ استند ونصبت بين يديه الشموع ثم قال: خذوا في شيء فقال ذلك الشيخ: أيش روى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أمه عن أبيه ؟ فلم يقل أبو سعيد الفارابي شيئا ، فقلت أنا : حدثنا بكار بن قتيبة ثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن عبد الأعلى الثعلبي عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أمه عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الله ليغار للمؤمن فليغر) قال : فقال لي ذلك الشيخ أتدري ما تتكلم به ؟ فقلت أيش الخبر ؟ فقال لي : رأيتك العشية مع الفقهاء في ميدانهم ، ورأيتك الساعة في أصحاب الحديث في ميدانهم وقل من يجمع ما بين الحالتين . فقلت : هذا من فضل الله وانعامه فأعجب القاضي في وصفه لي ، ثم أخذنا في المذاكرة . اهـ . وأبو سعيد هذا هو محمد بن عقيل الفريابي يعد في كبار فقهاء الشافعية من أصحاب المزني ولم يكن يسعه غير السكوت أمام الطحاوي المستبحر في العلوم ، وبهذا العلم الواسع تمكن من تأليف كتب لا نظير لها بين مؤلفات أهل عصره ، وكان الحامل له على استجماع الروايات ما لمس في منهجه الجديد من الحاجة الماسة في استعراض جميع ما ورد في كل موضوع فقهي من خبر مرفوع أو موقوف أو مرسل أو أثر من السلف أو رأى منهم بأسانيد مختلفة المراتب ليستخلص من بينها الحق الصراح ، لأن من قصر في جمع الروايات واكتفى بخبر يعده صحيحا لا يكون وفى العلم حقه لأن الروايات تختلف زيادة ونقصا ومحافظة على الأصل ورواية بالمعنى واختصارا فلا تحصل طمأنينة في قلب الباحث إلا باستعراض جميعها مع آراء فقهاء الصحابة والتابعين ومن بعدهم فيتمكن بذلك من رد المردود وتأييد المقبول . وهذا ما فعله الطحاوي في كتبه وقد أهله علمه الواسع لحمل هذه الأعباء المضنية بعقيدة فائقة أثارت نفوس بعض المخالفين فتقولوا عليه فازداد رفعة عند الله

وعند الناس ، ولولا هذه الهمة القعساء عنده لكان فى امكانه أن يكتفى بكتاب من كتب الصحاح أو السنن فيعكف عليه وحده ظانا أنه هو العلم كله . لكن مواهبه أبت إلا هذا الاعتلاء . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وزيادة على هذا له منهج حكيم فى ترجيح الروايات بعضها على بعض من غير اكتفاء بنقد رجال الأسانيد فقط . وهو دراسة الأحكام المنصوصة وتبيين الأسس الجامعة لشتى الفروع من ذلك فاذا شذ الحكم المفهوم من رواية راو عن نظائره فى الشرع بعد ذلك علة قادحة فى قبول الخبر ، لأن الأصل الجامع لشتى الفروع والنظائر فى حكم المتواتر وانفراد راو بحكم يخالف لذلك لا يرفعه إلى درجة الاعتداد به ، مع هذه المخالفة الصارخة . وهو أجاد تطبيق هذه القاعدة الحكيمة فى كتبه جد الاجادة ، وليس هذا ترجيحا لخبر على خبر بموافقة القياس كما ظن على ما شرحت ذلك فى (الاشفاق) وغيره ، ولم يكتف بمجرد نقد الرجال علما منه بمبلغ اختلاف النقاد حتى فى أشهر مشهوري حملة الآثار ، ولذا وجد النظار من المتكلمين من غير أهل السنة ما يتخذونه وسيلة إلى إعلال رواياتهم فى كتب أمثال الكرابيسى وابن أبى خيثمة وابن معين وابن المديني وغيرهم ممن أطلقوا لسان النقد فى كثير من الأجلة كما يظهر من كتاب أبى القاسم الكعبي وكتاب الصاحب بن عباد فى ذلك ، فالطحاوى لم يكتف بهذا النقد القابل للمعارضة . بل سلك منهجا تخيره أصحابنا ، وسار سيرهم فيه وهو عدم إهمال ناحية موافقة حكم الخبر لنظائره أو مخالفته لها . وهذه طريقة بديعة تركها المتأخرون ، وهى محفوظة بجدتها فى كتب الطحاوى وبروعتها وبرعاها فى بحوثه بحيث لو تتبعها المتفقه نمت ملكته وانكشفت مواهبه ، وليس ذلك من جهله بأحوال الرجال ، بل كان ما قاله أصحاب الشأن فى رجال الرواية على طرف لسانه ، ومبلغ سعة علمه في الرجال يظهر عند كلامه في الاحاديث المتعارضة في كتبه . وكتابه الكبير فى تاريخ

الرجال بوضع ثناء أهل العلم ، وإن لم نطلع عليه لكن رأينا كثيراً من النقول عنه في كتب أهل الشأن مما يدل على زاخر علمه في هذا الباب ، وليس ترجيحه لرواية على أخرى لموافقة إحداهما للأصول الجامعة دون الأخرى من قبيل الترجيح بموافقة القياس بل رد لما لا نظير له في المشرع بالشذوذ ، وهو أخذ بأقوى الحجج ، ولا يهمل الكلام في الرجال أصلا كما تجد مصداق ذلك في معاني الآثار ومشكل الآثار وغيرهما من مؤلفاته الخالدة ، ومن زعم خلاف ذلك فقد قصر في التنقيب ورمى بدائه غيره والله المستعان .

بعض أنباء الطحاوى لدى القضاة والحكام

ذكر ابن زولاق أن الطحاوى أراد مقاسمة عمه في الربع الذى بينهما فحكم له القاضي بالقسمة وأرسل إليه بمال يستعين به في ذلك ، ووافق ذلك إملاكا في مجلس أحمد بن طولون فحضره أبو جعفر الطحاوى وقرأ الكتاب وعقد النكاح فخرج خادم بصينية فيها مائة دينار وطيب فقال : كم القاضي . فقال القاضي كم أبي جعفر ، فألقاها في كمه ، ثم خرج إلى الشهود ، وكانوا عشرة بعشر صوان والقاضي يقول : كم أبي جعفر ، ثم خرجت صينية أبي جعفر ، فانصرف أبو جعفر في ذلك اليوم بألف ومائتي دينار سوى الطيب ، قال ابن زولاق حدثني عبد الله بن عثمان قال : سمعت أبا جعفر الطحاوى يقول : كانت لأبي الجيش ابن أحمد بن طولون أمير مصر شهادة فحضر الشهور ، وكان كلما كتب شاهد شهادته قرأها الأمير والقاضي ، وكان كل شاهد يكتب : أشهدني الأمير أبو الجيش بن أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين ، قال أبو جعفر : فلما شهدت أنا كتبت : أشهد على إقرار الأمير أبي الجيش بن أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، وأدام عزه وعلوه بجميع ما في هذا الكتاب ، فلما قرأه الأمير قال للقاضي : من هذا ؟ قال هذا كاتبي فقال : أبو من ؟ قال : أبو جعفر ، فقال : وأنت يا أبا جعفر فأطال الله بقاءك ، وأدام عزك ، قال : فقمت بسبب ذلك محسوداً من

الجماعة . قال ابن زولاق : فلم يزل محمد بن عبدة وأصحابه (يسعون) فأغروا به نائب هارون بن أبي الجيش فاعتقل أبا جعفر الطحاوى بسبب اعتبار الأوقاف . قال ابن زولاق : وسمعت أبا الحسن على بن أبي جعفر الطحاوى يقول : سمعت أبى يقول وذكر فضل أبى عبيد بن حربويه وفقهه فقال كان يذاكرنى بالمسائل ، فأجبته يوماً فى مســـألة فقال لى : ما هذا قول أبى حنيفة ، فقلت له : أيها القاضى أو كل ما قاله أبو حنيفة أقول به ؟ فقال : ما ظننت إلا مقـــلدا فقلت له : وهل يقلد إلا عصبى ؟ فقال لى أو غبى . قال : فطارت هذه الـكلمة بمصر حتى صارت مثلا وحفظها الناس . قال : وكان الشهود ينفسون على أبى جعفر بالشهادة لئلا يجتمع له رياسة العلم وقبول الشهادة فلم يزل أبو عبيد فى سنة ٣٠٦ هـ حتى عدله بشهادة أبى القاسم مأمون ومحمد بن موسى سقلاب فقبله وقدمه وكان أكثر الشهود فى تلك السنة قد حجوا وجاوروا بمكة فتم لأبى عبيد ما أراد من تعديله ، وكان لأبى عبيد فى كل عشية مجلس لواحد من الفضلاء يذاكره وقد قسم أيام الأسبوع عليهم منها عشية لأبى جعفر فقال له فى بعض كلامه ما بلغه عن أمناء القاضى وحضه على محاسبتهم فقال القاضى أبو عبيد : كان اسماعيل بن اسحاق لا يحاسبهم فقال أبو جعفر قد كان القاضى بكار يحاسبهم ، فقال القاضي أبو عبيد : كان اسماعيل . . . وقال (أبو جعفر) قد حاسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمناءه وذكر له قصة ابن الأتبية[1] فلما بلغ ذلك الامناء لم يزالوا حتى أوقعوا بين أبى عبيد وأبى جعفر وتغير كل منهما للآخر وكان ذلك قرب صرف أبى عبيد عن القضاء قال: فلما صرف أبو عبيد عن القضاء أرسل الذى ولى بعده إلى أبى جعفر بكتاب عزله قال فحدثنى

(١) بالهمزة رواية والمشهور باللام بضم فسكون وقيل بفتحتين . وبنو لتب من الأزد وحديث ابن اللتبية عبد الله فى استعماله على صدقات بني سليم وبني ذبيان فى صحيح البخارى فى الجمعة والزكاة والحيل والأحكام (ز)

لي ابن أبي جعفر قال فجئت إلى أبي فهنأته فقال لي أي ويحك أهذه تهنئة ؟ . هذه والله تعزية ، من أذاكر بعده أو من أجالس ؟ . قال ابن زولاق : ولما تولى عبد الرحمن بن إسحاق الجوهري القضاء بمصر كان يركب بعد أبي جعفر وينزل بعده وقيل له في ذلك ، فقال هذا واجب لأنه عالمنا وقدوتنا وهو أسن مني باحدى عشرة سنة ولو كانت إحدى عشرة ساعة لكان القضاء أقل من أن أفتخر به على أبي جعفر ولما ولي أبو محمد عبد الله بن زبر قضاء مصر وحضر عنده أبو جعفر الطحاوي فشهد عنده ، أكرمه غاية الإكرام وسأله عن حديث ذكر أنه كتبه عن رجل عنه من ثلاثين سنة فأملاه عليه . وقال وحدثني الحسين بن عبد الله القرشي قال : وكان أبو عثمان أحمد بن ابراهيم بن حماد في ولايته القضاء بمصر يلازم أبا جعفر الطحاوي يسمع عليه الحديث فدخل رجل من أهل أسوار فسأل أبا جعفر عن مسألة ، فقال أبو جعفر : من مذهب القاضي أيده الله كذا وكذا ، فقال : ما جئت إلى القاضي إنما جئت إليك ، فقال له : يا هذا ، من مذهب القاضي ما قلت لك . فأعاد القول . فقال أبو عثمان تفتيه أعزك الله فقال : إذا أذنت أيدك الله أفتيته فقال : قد أذنت ، فأفتاه ، قال : فكان ذلك يعد في فضل أبي جعفر وأدبه . اه . وكان أبو عبيد في غاية المعرفة بالاحكام . وأبو عثمان القاضي حفيد اسماعيل القاضي كان مالكيا كجده ، ولم يكن اختلاف المذاهب يؤثر في تواصل هؤلاء العلماء أصحاب النفوس الطاهرة . وتلك الأنباء تكشف عن مبلغ التصافي بين علماء ذلك العهد رحمهم الله تعالى .

يقال أن أمير مصر أبا منصور تكين الخزري الشهير بالجيار دخل على الطحاوي يوما . فلما رآه داخله الرعب . فأكرمه الامير وأحسن إليه ثم قال له : يا سيدي ، أريد أن أزوجك ابنتي ، فقال له : لا أفعل ذلك ، فقال له : ألك حاجة بمال ؟ قال له : لا قال : فهل أقطع لك أرضاً ؟ . قال : لا . قال : فاسألني ما شئت ، قال : وتسمع ؟

قال : نعم . قال : احفظ دينك لئلا ينفلت ، واعمل في فكاك نفسك قبل الموت ، وإياك ومظالم العباد ، ثم تركه ومضى فيقال أنه رجع عن ظلمه لأهل مصر كما في تحفة الأحباب . هكذا كانت معاملة الطحاوى مع حكام مصر ، يأبى المصاهرة ويأبى إنعامهم بالمال أو الاقطاع ويأبى قبول قضائهم لأى حاجة له ، بل ينصحهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة . وأين هذا ممن يزوج بناته الثلاث للمماليك تزلفاً إليهم ؟ ثم يطول لسانه في مثل الطحاوى .

كلام بعض الناس فى الطحاوى

وقد سبق ذكر كلمات أهل العلم فى الثناء على أبى جعفر الطحاوى بما هو جدير به وشهادة أهل الشأن بثقته وديانته ، وحفظه وأمانته ، وفهمه وفطانته . من أمثال أبى سعيد بن يونس الحافظ ، وأبى سعد السمعاني ، وابن الجوزى ، وسبطه ، وابن عبدالبر ،والذهبي وابن كثير وغيرهم فلا داعى إلى إعادة ذكرهم، ومع ذلك لم يسع بعض المتعصبين أن لا ينالوا منه ليخفضوا منزلته العالية . لكن ما زادوا فى مقامه السامى إلا علواً وارتفاعاً ، ولا فى نفوسهم المريضة إلا انخذالا واتضاعاً . سامحهم الله وألهمه الصفح عن هؤلاء المرضي فى عقولهم وديانتهم ، وفى ثقتهم وأمانتهم ، فأقول : قال أبو بكر البيهقي فى أول كتاب معرفة السنن : (وحين شرعت فى كتابى هذا جاءني شخص من أصحابى بكتاب لأبى جعفر الطحاوى ، فكم من حديث ضعيف فيه صححه لأجل رأيه ، وكم من حديث صحيح ضعفه لأجل رأيه) هكذا قال البيهقى فى معرفة السنن وهي المعروفة بالسنن الوسطى . وقد قال الحافظ عبد القادر القرشى فى كتابه الجواهر المضيئة فى كتاب الجامع منه (٤٣١) معلقا على هذه الكلمة : وحاش لله أن الطحاوى رحمه الله تعالى يقع فى هذا . فهذا الكتاب الذي أشار إليه هو الكتاب

المعروف بمعانى الآثار — وبعد أن توسع الحافظ القرشي فى بيان ما صنعه فى تخريج أحاديثه بإشارة شيخه — قال : «والله لم أر فى هذا الكتاب شيئا مما ذكره البيهقي عن الطحاوى وقد اعتنى شيخنا .. ووضع كتابا عظيما نفيساً على كتاب السنن الكبير له وبين فيه أنواعاً مما ارتكبها من ذلك النوع الذى رمى به البيهقي الطحاوى يذكر حديثاً لمذهبه وفى سنده ضعيف فيوثقه . ويذكر حديثاً على مذهبنا وفيه ذلك الرجل الذى وثقه فيضعفه . ويقع هذا فى كثير من المواضع . وبين هذين العملين مقدار ورقتين أو ثلاثة . وهذا كتابه موجود بأيدى الناس ، فمن شك فى هذا فلينظر فيه . وكتاب شيخنا كتاب عظيم لو رآه من قبله من الحفاظ لسأله تقبيل لسانه الذى تفوه بهذا كما سأل أبو سليمان الدارانى أبا داود صاحب السنن أن يخرج إليه لسانه حتى يقبله . والقصة مشهورة ثم قال القرشي : يقول الناس أن الشافعى له فضل على كل أحد ، والبيهقى فضله على الشافعى ، فوالله ما قال هذا من شم توجه الشافعى وعظمته ولسانه فى العلوم ولقد أخرج الشافعى بابا من العلم ما اهتدى إليه الناس من قبله . وهو علم الناسخ ، والمنسوخ ، وعليه مدار الاسلام اه . وكتاب شيخه هو الجوهر النقي فى الرد على سنن البيهقى ، طبع أولا وحده فى حيدر آباد الدكن ثم طبع مع السنن الكبرى . وأما معرفة السنن فلم تطبع بعد ، وهى موجودة بمكتبة رواق المغاربة بالأزهر ، والبيهقى[1] وإن أساء إلى نفسه بهذا الصنيع المكشوف الدخائل لكنه أحسن إلى العلم من حيث إن صنعه ذلك أدى إلى تأليف الجوهر النقي النافع للغاية .

والبيهقي رحمه الله له كتب نافعة . لكن فى معيار نقده خلل يدعو إلى التبصر

---

(١) وليس عند البيهقى رواية جامع الترمذى وسنن النسائى وسنن ابن ماجه ومسند أحمد وجل روايته من كتاب على بن حمشاد كما ذكرت فى مقدمة الأسماء والصفات له (ز)

فى الاستسلام له ، كما يتيقن بذلك من طالع الكتابين الأصل والنقد . فيجد الردود الموجهة إليه فى غاية الوجاهة إزاء إساءة ملموسة . فى حين أن كلامه فى الطحاوى كلام مرسل على عواهنه ، والحاوى فى تخريج أحاديث الطحاوى للحافظ عبد القادر القرشى . ونخب الأفكار ومعانى الأخبار للبدر العينى قامت بتمحيص الحق فى ذلك وهذا المقام لا يتسع لأكثر من هذا . ثم تكلم ابن تيمية فى منهاجه وقال فى حق الطحاوى : (ليست عادته نقد الحديث كنقد أهل العلم ، ولهذا روى فى شرح معانى الآثار الأحاديث المختلفة . وإنما رجح ما يرجحه منها فى الغالب من جهة القياس الذى رآه حجة ويكون أكثره مجروحا من جهة الإسناد ولا يثبت فانه لم يكن له معرفة بالإسناد كمعرفة أهل العلم به وإن كان كثير الحديث فقيهاً عالماً اهـ) فتراه يحكم عليه هذا الحكم القاسي لأنه صحح حديث رد الشمس لعلى كرم الله وجهه . فيكون الاعتراف بصحة هذا الحديث ينافى انحرافه عن على رضى الله عنه . وتبدو على كلامه آثار بغضه لعلي عليه السلام فى كل خطوة من خطوات تحدثه عنه . ولا مجال لرد حديث أسماء فى ذلك من جهة الصناعة الحديثية لكن حكمه حكم أخبار الآحاد الصحيحة فى المطالب العلمية ، ومعرفة الطحاوى بالعلل لايتجاهلها إلا من اعتل بعلل لا دواء لها وقد جمع أهل العلم بالحديث طرق هذا الحديث قديما وحديثا وحكموا عليه بالصحة ، رضى ابن تيمية أم لم يرض منهم أبو القاسم العامرى الحاكم النيسابورى الحافظ ، وللسيوطى جزء خاص فى ذلك وكذا لمحمد بن يوسف الصالحى ، ومن القائلين بصحة ذلك الحديث القاضي عياض فى (الشفا فى تعريف حقوق المصطفى ﷺ) لكن لا مجال لرفع الغشاوة عن أبصار المنحازين إلى الخوارج نسأل الله السلامة . وعادة ابن تيمية أنه إذا رأى مسألة واحدة لبعض أهل العلم يجعلها قاعدة كلية عنده فيعزو إلى ذلك الناطق بتلك المسألة الواحدة كلياً خيالياً

والاستبداد الـكلي مع الجزري منطق طريف ينفرد هو به . على أن ما ظن أنه ترجيح بموافقة القياس ترجيح بعـــدم الشذوذ عن موارد الشرع كما سبق ، ثم الـكلام في الأحاديث المختلفة بالتحدث عن رجالها جرحا وتعديلا لا يخلو عنه بحث من بحوث كتابه ، وكتابه بين أيدى أهل العلم فمثل هذا التهجم إزاء الحقائق الماثلة لا يصدر ممن يحترم نفسه ، ولو أخذنا نسرد كلامه فى الرجال من ثنايا كتبه لطال بنا الـكلام جداً وخرجنا عن الموضوع ، ومن الذى رد على كتاب المدلسين للكرابيسى[1] سواء ؟ أهذا شأن من يجهل علم الرجال ؟ والجاهل بالرجال هو الذى يكتب أبو بكر الصامت الحنبلي في أغلاطه فى الرجال جزءا مع تخيره إليه . وكتب الطحاوى شهود صدق على علمه الواسع بالرجال ثم إن ابن حجر العسقلانى لم يرض إلا أن يذكـر الإمام الطحاوى فى لسان الميزانِ وبهذا آذى نفسه قبل أن يؤذى الطحاوي لشذوذه عن جماعة أهل العلم فى الثناء عليه ، وهو كما يقول أبر أصحابه له الحافظ السخاوى فى تعليقاته على الدرر الـكامنة لا يستطيع أن يترجم لحنفي إلا باخساً لحقه ، ومنتقصا لشأنه ، وفى هوامش الدرر كثير من كلام السخاوى فى ذلك ، فبهذا يتبين صواب ما قاله المحب بن الشحنة فى ابن حجر إلا أنه لا يعول على كلامه فى حنفي متقدم ولا متأخر لبالغ تعصبه . وقد ترجم ابن حجر للطحاوى فى لسان الميزان مستدركا على الذهبي ترجمة واسعة ليدس فى خلالها هذه الـكلمة نقلا عن مسلمة بن القاسم عن ابن الأحمر التاجر الرحال : (دخلت مصر قبل الثلاثمائة ، وأهل مصر يرمون الطحاوى بأمر عظيم فظيع) فيقول ابن حجر شرحا لتلك الـكلمة : يعنى من جهة أمور القضـــاء أو من جهة ما قيل ، أنه أفتى به أبا الجيش فى أمر الخصيان اهـ — كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، تراه يلوح ولا يصرح لمذهب

---

(١) ومعلوم مبلغ تضايق الامام أحمد من هذا الـكتاب لاعطائه سلاحا للخصوم (ز)

نفس السامع إلى كل سوء بشأنه ، وليسىء إلى سمعته الطيبة . أهكذا يكون الجرح والتعديل عند أهل النقد ؟ ! ، ومن هؤلاء الذين كانوا يرمونه من أهل مصر ؟ فليذكر واحدا أو اثنين منهم بدل أن يعزو هذا الرمى إلى جميع أهل مصر ليمكن النظر فى حال الرامين الذين لا يكونون عشر معشار أهل مصر ، وما هذا الأمر الفظيع الذى يساق لتشويه سمعته ؟ وماذا يفيد خبر المجاهيل فى أمور مجهولة غير الكشف عن جهل مسجله بملء شدقيه ومن طويته بين جنبيه ؟ . أكان الطحاوى قاضيا حتى يصح رميه بأمور تتعلق بالجور فى القضاء ؟ وهو الذى كان يحض القاضى على محاسبة الأمناء ، صونا للحقوق عن الضياع ، وإيصالا لها إلى أصحابها . فيثورون ويفورون ويدبرون تدابير ضده من غير أن يحيق المكر السىء إلا بأهله كما سبق وليس الفاجر يستفتى العلماء فى استباحة الفجور ، ولم يكن الطحاوى من الطراز الذى يحض أميراً أو وزيراً بفتيا . وكتاب النسر يعزى إلى غيره . وقد رددت على المعرى فريته السخيفة فى موضعه وبهت الأشرار على الأبرار ، لا يأخذ به نيلا منهم إلا مثلهم . وكان الطحاوى رضى الله عنه من أشد العلماء ردا على مبيحى الاثفار . راجع معانى الآثار (٢ — ٢٣) بخلاف ابن حجر فانه قوى ثبوت القول به فى التلخيص الحبير (٣٠٧) وهذا مما يندى جبين العالم خجلا ، لكن من لم يأب التغزل فى الغزلان وألف خمس رسائل فى هذا الشأن لا يأبى أن يلطخ الجباه الطاهرة بصنوف الأقذار من أهل الهذيان ، وهو يعلم تكذيب كثير من علماء الأندلس لمسلمة بن القاسم القرطبى ، وقول ابن الفرضى وغيره فيه إنه ضعيف العقل صاحب رقى ونير نجات حفظ عليه كلام سوء فى التشبيهات وقول الذهبى وغيره فيه إنه ضعيف وما قيل إنه كان من المشبهة ، فبرواية مثله الوهمة لا يطعن فيمن ثبتت أمانته وديانته ، وثقته وإمامته ، إلا من فى نفسه حاجة — حفظنا الله من شرور أنفسنا

وألهمنا العدل فى كل الأمور . وكان مسلمة أخذ مذهب المشبهة عن شيخ السالمية أحمد بن محمد بن سالم البصرى المذكور حاله فيما علقناه على تبيين كذب المفترى . وليس فى استطاعة ابن حجر تبرئته من هذا المذهب الردىء . ومضرب المثل السائر المصرى (فضحت نفسك بيديك) يعرفه ابن حجر جيداً وقد سجله الجمال بن عبد الهادى المعروف بابن المبرد فى كتابه عن القرن التاسع فى ترجمة ابن حجر ، وصيغة مثل ابن النديم بعيدة عن أن تكون صالحة للاحتجاج بها . راجع طبقات ابن السبكى (٤ — ١٨) لتعلم رأى الشافعية فى لزوم الحد أو سقوطه . ولله الأمر من قبل ومن بعد . وأما قول الأستاذ أبى منصور عبد القاهر التميمى فى نقضه لكتاب أبى عبد الله محمد بن يحيى بن مهدى الجرجانى فى ترجيح مذهبه : (واستقصى محمد بن جرير الطبرى الشروط فى كتاب على أصول الشافعى وسرق أبو جعفر الطحاوى من كتابه ما أودعه كتابه وأوهم أنه من منتجات أهل الرأى) فدليل على صواب ما ادعاه الفخر الرازى من أهل مذهبه فيه من أنه « كان شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه » — راجع رسالة الرازى فى مناظرته لأهل ما وراء النهر — فهل كان ابن جرير مصرى الدار يساكن الطحاوى حتى يتمكن الطحاوى من سرقة كتاب ابن جرير فى الشروط ؟ وكتب الطحاوى فى الشروط على مذهب أصحاب أبى حنيفة أفهل كان الكتاب المسروق مؤلفاً على مذهب أبى حنيفة ؟! فإن كان ابن جرير كتب كتابا فى الشروط فانما يكتبه على مذهبه الخاص لأنه مجتهد مطلق مستقل لا على مذهب أبى حنيفة ولا على مذهب الشافعى ودار ابن جرير فى طبرستان فى حوض بحر الخزر مدة وفى بغداد مدة ، وبعدها عن مصر معلوم فكيف يتصور أن يسرق أحدهما من الآخر خلسة ؟ ! وليس بين وفاتيهما مدة كبيرة تسع لاخفاء السرقة ، على أكبر تنزل ، على أن كتاب الشروط المعزو إلى ابن جرير

باسم (أمثلة العدول) مما لا وجود له بين تراث السلف إلا فى كتب التراجم. وأما كتب الشروط للطحاوى من صغير ومتوسط وكبير فمعروفة شرقا وغربا متداولة فى أيدى العلماء. ثم إن ابن جرير أطال المقام فى طبرستان وعندما عاد إلى بغداد كان مقهوراً تحت سلطان الحشوية ببغداد يرمون بيته بأحجار، ولا يتمكن من المحافظة على نفسه إلا بحرس من الحكومة، ويضطر فى بعض الأحوال أن يدفن بعض كتبه مثل اختلاف الفقهاء فلم يكن حرا طليقا فى نشر العلم فى عهد سطوة الحشوية وطال ذلك العهد هناك، وأما الطحاوى فى مصر فكان موفور الكرامة يجله الكبير والصغير ويوالى القضاة الاستعانة بغزير علمه فى الفقه والحديث والتوثيق وتسجيل الشروط حتى سارت بتصانيفه وأنبائه الركبان فى جميع البلدان شرقا وغربا. أمثله يكون فى حاجة إلى السرقة فى علم الشروط؟ وقد تلقي علم الشروط من أمثال القاضى بكار[(١)]، وابن أبى عمران، وأبى خازم عبد الحميد[(٢)] أصحاب أئمة علم الشروط بالبصرة والكوفة وبغداد، فهما أبعد بعض العلوم عن الحنفية لا يمكن إبعاد علم الشروط والتوثيق عنهم فانهم أئمة هذا العلم من عهد أبي يوسف وقبل عهده، وما جرى بين ابراهيم بن الجراح وبين حماد بن زيد مسجل فى موضعه، وقول يحيي بن أكثم فى شروط هلال الرأى وغيره من أهل البصرة معروف[(٣)] ومن أحاط علما

---

(١) وله كتاب الشروط وكتاب المحاضر والسجلات وكتاب الوثائق والعهود وكتاب النقض على الشافعى (ز)

(٢) وله كتاب المحاضر والسجلات وكتاب أدب القاضى وكان حاذقا فى عمل المحاضر والسجلات (ز)

(٣) يوسف بن خالد السمتى صاحب أبى حنيفة هو أول من وضع كتاب الشروط وأول من جلب رأى أبى حنيفة الى البصرة فيما ذكره الساجى كما فى تهذيب التهذيب، وقال ابن المدينى: يوسف بن خالد سقط حديثه من أجل الكلام كما ذكره عبد الله الأنصارى بسنده فى ذم الكلام ويعلم من ذلك أن اشتغال المرء بالكلام كان اذ ذاك يعد مسقطا لحديثه. وهذا من أغرب الموازين. راجع ما ذكرناه فى أوائل شروط الأئمة (ز)

بذلك كله لا يتردد لحظة فى أن هذا الزعم نسج خيال التعصب وافتعال غير مدبر نسأل الله السلامة ، وعلى كل حال فإن كتاب أبى عبد الله الجرجانى وكتاب نقضه لأبى منصور عبد القاهر لا يخلوان من غلو وإسراف فى القول على جلالة قدر مؤلفيهما ، وأصاب ابن الصلاح حيث قال فيهما : (وكل واحد منهما لم يخل كلامه من ادعاء ما ليس له والتشنيع بما لا يؤبه به مع وهم كثير أتياه) . سامحهم الله تعالى وإيانا بمنه وكرمه .

مؤلفات أبى جعفر الطحاوى

أما تصانيف أبى جعفر الطحاوى ففى غاية الحسن والجمع والتحقيق وكثرة الفوائد ، ولم تحظ مصر بطبع شىء منها سوى رسالة صغيرة سبقتها بلاد فى طبعها ، رغم كون مصنفها من مفاخر وادى النيل ، ولو كان مثل هذا العالم فى الغرب لانتدب أهل الشأن لدراسة كتبه وتحقيقها رجالا خاصة ، بل نراهم يعملون هذا فى بعض رجال الشرق فى حين أننا أصبحنا بعداء عن تقدير مقادير الرجال . أغنياء بما نستقى من أدمغتنا فقط من غير أن نرى حاجة إلى البحث والتنقيب فى التراث الشرقى الفاخر ، مع محاولتنا التجديد فى كل شىء . فلو زاحمناهم فى البحث والتعب وراء اجتلاء معارفنا ، وباعدناهم فى الموبقات وصنوف السقوط لانبعثنا من جديد . وما ذلك على الله ببعيد ، فمن مصنفات الطحاوى الممتعة كتاب معانى الآثار . فى المحاكمة بين ادلة المسائل الخلافية يسوق بسنده الأخبار التى يتمسك بها أهل الخلاف فى تلك المسائل ، ويخرج من بحوثه بعد نقدها اسناداً ومتنا ، رواية ونظرا بما يقتنع به الباحث المنصف المتبرىء من التقليد الأعمى ، وليس لهذا الكتاب نظير فى التفقية وتعليم طرق التفقه وتنمية ملكة الفقة رغم إعراض من أعرض عنه . ولذلك كان الاستاذ المغفور له شيخنا

العلامة محمد خالص الشروانى رحمه الله اختاره فى عداد كتب الدراسة مع الآثار للامام محمد بن الحسن الشيبانى.. وكان لأهل العلم عناية خاصة بتدريس كتاب معانى الآثار وروايته وتلخيصه وشرحه والكلام فى رجاله ، فمن شراحه الحافظ أبو محمد المنبجى مؤلف اللباب فى الجمع بين السنة والكتاب ـ وقطعة من شرحه موجودة فى مكتبة أيا صوفيا بالآستانة ـ ، ومنهم الحافظ عبد القادر القرشى صاحب الحاوى فى تخريج أحاديث معانى الآثار للطحاوى ـ وقطعة منه موجودة بدار الكتب المصرية ـ وذكر القرشى فى قسم الجامع من طبقاته (٤٣١) سبب تأليفه . وقال : كان ذلك باشارة شيخنا الحجة علاء الدين الماردينى لما سأله بعض الأمراء عن ذلك وقال له عندنا كتاب الطحاوى فاذا ذكرنا لخصمنا الحديث منه يقولون لنا : ما نسمع الا من البخارى ومسلم ـ فى كلام نحو هذا ـ فقال له شيخنا : والأحاديث التى فى كتاب الطحاوى أكثرها فى البخارى ومسلم والسنن وغير ذلك من كتب الحفاظ ـ فى كلام نحو هذا ـ فقال له الأمير : أسألك أن تخرّجه وتعزو أحاديثه إلى هذه الكتب فقال له شيخنا : ما أتفرغ لذلك . ولكن عندى شخص من أصحابى يفعل ذلك وتكلم معه رحمه الله فى الاحسان إلى وعظمنى عنده وجعلنى أمة فى هذا العمل . فحملنى إلى الأمير وأحسن إلى وأمدنى الأمير بكتب كثيرة كالأطراف للمزى وتهذيب الكمال له وغيرهما وشرعت فيه . وكان ابتدائى فيه سنة (٧٤٠هـ) وأمدنى شيخنا بكتاب لطيف فيه أسماء شيوخ الطحاوى وقال لى : هذا يكفيك من عندى فحصل لى النفع العظيم اهـ إلى آخر ماذكره هناك ، وطريقته فى التخريج أنه يتكلم على أسانيده ويعزو أحاديثه وأسناده إلى الكتب الستة والمصنف لابن أبى شيبه وكتب الحفاظ وهكذا . فخدم خدمة عظيمة فى هذا الباب ، ومن شراح الكتاب البدر العينى الحافظ ، وقد عنى بتدريسه سنين متطاولة فى المؤيدية ـ وكان الملك المؤيد شيخ ملما بالعلم يناقش العلماء فى العلم حتى جعل لهذا الكتاب كرسيا

خاصا فى جامعته كباقى أمهات كتب الحديث وعين لهذا الكرسى البدر العينى .
فقام البدر بتدريس هذا الكتاب خير قيام مدة مديدة وألف شرحين ضخمين فخمين صورة ومعنى . أحدهما نخب الافكار فى شرح معانى الآثار . ويتعرض لتراجم رجال الكتاب فى صلب هذا الشرح كما فعل فى شرح صحيح البخارى . وهذا من محفوظات دار الكتب المصرية فى ثمانية مجلدات بخط المؤلف وبها خروم . وتوجد بعض أجزاء منه فى مكتبة أحمد الثالث فى طوبقبو ومكتبة (عموجة حسين باشا) بالآستانة . والشرح الاخر هو مبانى الأخبار فى شرح معانى الآثار للبدر العينى . وهو محفوظ فى دار الكتب المصرية بخط المؤلف فى ستة مجلدات . وهو خلو من الكلام فى الرجال حيث أفردهم فى تأليف سماه معانى الأخيار فى رجال معانى الآثار فى مجلدين مع نقص فى نسخة دار الكتب المصرية ، يستدرك من نسخة مكتبة رواق الأتراك فى الازهر الشريف . وخدمة البدر العينى لمعاني الآثار لا تقل عن خدمته لصحيح البخاري والله سبحانه يكافئه على تلك الخدمات الجسيمة ولا سيما فى تحقيق أحاديث الأحكام . وممن لخص معانى الاثار حافظ المغرب ابن عبد البر وبه امتلأ قلبه اجلالا للطحاوى ويكثر النقل عنه فى كتبه ولا سيما التمهيد . وممن لخصه أيضا الحافظ الزيلعى صاحب نصب الراية . وملخصه محفوظ بمكتبة رواق الاتراك ، ومكتبة الكوبريلى بالآستانة وشرحه صاحب اللباب فى الجمع بين السنة والكتاب أيضا وهو محفوظ فى مكتبة أيا صوفيا فى الآستانة . ولمحمد بن محمد الباهلى المالكى كتاب تصحيح معانى الآثار محفوظ فى بانكوك كما ذكره بروكلمان ولم أطلع عليه .
وكتاب معانى الآثار طبع مرات فى الهند . لكن أين جمال الطبع المصرى من من الطبع الهندى ؟ فياحبذا لو طبعت تلك الكتب مع إعادة طبع معانى الآثار بمصر بعناية خاصة . ويقول الطحاوى فى صدر كتاب معانى الآثار (سألنى بعض أصحابنا

من أهل العلم أن أضع له كتابا أذكر فيه الآثار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الأحكام التى يتوهم أهل الالحاد والضعفة من أهـل الاسلام أن بعضها ينقض بعضا لقلة علمهم بناسخها من منسوخها وما يجب به العمل منها لما يشهد له من الـكـتاب الناطق والسنة المجتمع عليها . وأجعل لذلك أبوابا ، أذكر فى كل كتاب منها ما فيه من الناسخ والمنسوخ وتأويل العلماء واحتجاج بعضهم على بعض وإقامة الحجة لمن صح عندى قوله منهم بما يصح به مثله من كتاب أو سنة أو إجـاع أو تواتر من أقاويل الصحابة أو تابعيهم . وأنى نظرت فى ذلك وبحثت عنه بحثاً شديدا فاستخرجت منه أبوابا على النحو الذى سأل وجعلت ذلك كـتبا ذكرت فى كل كتاب منها جنسا من تلك الاجناس) فبهذا تعلم مبلغ ثقل ما قام بحمله الطحاوى وعظيم مقدار عمله رضى الله عنه وأرضاه .

ومن مؤلفات الطحاوى أيضا بيان مشكل الحديث المعروف بمشـكل الآثار فى نفي التضاد عن الأحاديث واستخراج الأحكام منها . وهو من محفوظات مكـتبة فيض الله شيخ الاسلام فى اصطنبول تحت أرقام (٢٧٣ ـ ٢٧٩) فى سبعة مجلدات ضخام . وهى نسخة صحيحة مقروءة من رواية أبى القاسم هشام ابن محمد بن أبى خليفة الرعيني عن الطحاوى ، قابلها وصححها ابن السابق المترجم له فى الضوء اللامع . والقسم المطبوع منه فى حيدر آباد فى أربعة أجزاء ربما لا يـكون نصف الـكتاب على سقم الطبع ، ومن أطلع على اختلاف الحديث للامام الشافعى رضى الله عنه ومختلف الحديث لابن قتيبة ثم اطلع على كتاب الطحاوي هذا يزداد إجلالا له ومعرفة لمقداره العظيم ، وكم كنا نود لو طبع بمصر تمام الـكتاب من النسخة المذكورة وقد اختصر أبو الوليد بن رشد الجد كتاب مشـكل الآثار مع بعض اعتراضات منه عليه ، واختصاره محفوظ بدار الـكتب المصريه ، واختصر هـذا المختصر قاضى

القضاة جيل الدين يوسف ابن موسى الملطى من شيوخ البدر العينى فى كتاب سماه (المعتصر من المختصر) فأجاد فى التلخيص والاجابة عما أورده ابن رشد . وطبع المعتصر بالهند مع الخطأ فى اسم مؤلفه واسم مختصره . وهذا المعتصر نافع أيضا[1] .

واختلاف العلماء للطحاوى فى نحو مائة وثلاثين جزءا حديثيا . وقد اختصره أبو بكر الرازى . واختصاره هو الموجود فى مكتبة جار الله ولى الدين فى اصطنبول ، وأما الأصل فلم أظفر به ، وأما القطعة الموجودة بدار الكتب المصرية فهى من مختصر اختلاف علماء الامصار لأبى بكر الرازى وان نسبت غلطا الى الطحاوى،وفى المختصر يذكر أقوال الأئمة الأربعة وأصحابهم وأقوال النخعى وعثمان البتى والأوزاعى والثورى والليث بن سعد وابن شبرمة وابن أبى ليلى والحسن بن حى وغيرهم من المجتهدين الاقدمين الذين صعب اليوم الاطلاع على آرائهم فى المسائل الخلافية ، فياليت الاصل بحث عنه وعن مختصره وطبع هو أو مختصره ، أو كلاهما .

وأحكام القرآن للطحاوى فى نحو عشرين جزءا . ويقول القاضى عياض فى الاكمال إن للطحاوي ألف ورقة فى تفسير القرآن ، وذلك هو أحكام القرآن له . وللطحاوى أيضا كتاب الشروط الكبير فى التوثيق فى نحو أربعين جزءا وقد طبع بعض المستشرقين جزءا منه ، وتوجد قطعة منه فى مكتبة على باشا الشهيد وأخرى فى مكتبة مراد ملا باصطنبول . من غير أن تتم بهما نسخة كاملة . وله أيضا الشروط الأوسط ومختصر الشروط له فى خمسة أجزاء محفوظ فى مكتبة شيخ الاسلام فيض الله وتدل تلك الكتب على براعة الطحاوى البالغة فى علم الشروط والتوثيق مهما تضايق من ذلك الأستاذ عبد القاهر التميمى .

---

(١) وممن اختصر مشكل الآثار ابن خلف الباجى ومختصره فى المتحف البريطانى وهو أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى الامام المشهور ، ووهم بروكلمان فسماه سعيد بن خلف (ز)

ومختصر الطحاوى فى الفقه فى المذهب على شاكلة مختصر المزني فى مذهب الشافعى وهو محفوظ بمكتبة الأزهر ومكتبتى جار الله وفيض الله بالآستانة ولمختصر الطحاوى شروح أقدمها وأهمها شرح أبى بكر الرازى الجصاص غاية فى الاتقان دراية ورواية . قطعة منه توجد بدار الكتب المصرية والباق فى مكتبة جار الله بالآستانة . ومنها شرح أبي عبد الله الحسين بن على الصيمرى ومنها شرح شمس الأئمة السرخسى : قطعة منه توجد فى مكتبة السليمانية والباق فى مكتبة (شهزاده) بالآستانة . ومنها شرح أبى نصر أحمد بن محمد المعروف بالاقطع شارح مختصر القدوري ومنها شرح أبى نصر أحمد بن منصور الجندى الاسبيجابي الكبير . ومنها شرح بهاء الدين على بن محمد السمر قندى الاسبيجابى الصغير وهما موجودان فى عدة مكتبات فى الآستانة . والكبير فى مكتبة على باشا الشهيد . والصغير فى مكتبة ينى جامع . ومنها شرح أحمد بن محمد بن مسعود الوبرى وله غير ذلك من الشروح .

وله أيضا النوادر الفقهية فى عشرة أجزاء . وكتاب النوادر والحكايات فى نحو عشرين جزءا . وله جزء فى حكم أرض مكة . وجزء فى قسم الفيء والغنائم .

وله الرد فى خمسة أجزاء على كتاب المدلسين لأبى على الحسين بن على الكرابيسى الذى أعطى حججا لأعداء أهل السنه بكتابه هذا حيث حاول فيه توهين الرواة من غير أهل مذهبه ليحيا هو فقط ومذهبه . وكلمة أحمد فى كتاب الكرابيسي هذا مذكورة فى شرح علل الترمذى لابن رجب فالطحاوى سد هذه الثلمة برده على الكرابيسى مشكورا فضله ، وقد ذكر كتاب المدلسين هذا الأمام أحمد فذمه ذما شديدا . وكذلك أنكر عليه أبو ثور وغيره من العلماء قال المروزى : مضيت إلى الكرابيسى وهو اذ ذاك مستور يذب عن السنة ويظهر نصرة أبى عبد الله فقال لى أن أبا عبد الله رجل صالح مثله يوفق لاصابة الحق وقد رضيت أن

يعرض كتابي عليه قال وقد سألني أبو ثور وابن عقيل وابن حبيش أن أضرب على هذا الكتاب فأبيت عليهم وقلت بل أزيد فيه ماسنح فى ذلك وأبى أن يرجع عنه فجيء بالكتاب إلى أبي عبد الله وهو لايدرى من وضع الكتاب وكان فى الكتاب الطعن على الأعمش والنصرة للحسن بن صالح وكان فى الكتاب : أن قلتم أن الحسن بن صالح كان يرى رأى الخوارج فهذا ابن الزبير قد خرج فلما قرئ على أبي عبد الله قال هذا قد جمع للمخالفين ما لم يحسنوا أن يتيحجوا به حذروا عن هذا ونهى عنه اهـ . وقال ابن رجب : وقد تسلط بهذا الكتاب طوائف من أهل البدع فى الطعن على أهل الحديث وكذلك بعض أهل الحديث ينقل منه دسائس اما يخفي عليه أمرها أولا يخفي كيعقوب الفسوى وغيره اهـ . وعلى مثل هذا الكتاب الخطر رد الطحاوى ردا موفقاً يشكر عليه . وله أيضا كتاب الاشربة حمله هشام الرعيني إلى المغرب فيما حمل من كتب الطحاوى . وله أيضا جزءان فى الرد على عيسى ابن أبان من أصحاب محمد بن الحسن . وجزء فى الرد على أبى عبيد فى النسب . وجزءان فى اختلاف الروايات على مذهب الكوفيين وجزء فى الرزية . وله شرح الجامع الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني وشرح الجامع الصغير له أيضا . وكتاب المحاضر والسجلات . وكتاب الوصايا والفرائض وكتاب التاريخ الكبير . قال ابن خلكان : وله تاريخ كبير . ولقد اجتهدت فى تحصيله غاية الاجتهاد وما ظفرت به وكل من سألت عنه من أهل هذا الشأن جهلوا به اهـ . لكن نرى كتب الرجال مكتظة بالنقل عنه . وله أيضا أخبار أبى حنيفة وأصحابه . وهو الذى يسميه بعضهم بمناقب أبى حنيفة . وله أيضا كتاب فى النحل وأحكامها وصفاتها وأجناسها وما روى فيها من خبر في نحو أربعين جزءا وله العقيدة المشهورة[1] المسماة (بيان اعتقاد

---

(١) عقيدة لها شروح منها شرح نجم الدين أبى شجاع بكبرس الناصرى البغدادي من شيوخ الشرف الدمياطى ومنها شرح السراج عمر بن اسحاق الغزنوى ثم المصرى ومنها شرح

أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف الانصارى ومحمد ابن الحسن) رحمهم الله . وله جزء فى التسوية بين حدثنا وأخبرنا . وقد لخصه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله وله أيضا كتاب سنن الشافعى جمع فيه ماسمعه من المزنى من أحاديث الشافعى عرفانا لجميله . والشافعية يروون تلك الاحاديث بطريقه كما سبق وللطحاوى كتاب (صحيح الآثار) محفوظ فى مكتبة بانتا كما ذكره بروكمان ولم اطلع عليه .

وقد ألف ابن قطلوبغا الحافظ جزءا فى عوالى حديث الطحاوى وسمعه عند قبره وفعل مثل ذلك مع الليث بن سعد وبكار القاضى . والثلاثة محفوظة فى مكتبة برلين كما فى بروكلمان .

وتلك شذرة من فضائل هذا الأمام الجليل . وهذا القدر من البيان كاف فى هذا الشأن .

بعض اسانيد اهل العلم فى كتب الطحاوى

فرواية المشارقة لكتاب معانى الآثار للطحاوى بطريق الحافظ أبي بكر محمد ابن إبراهيم المقرىء الحنبلى صاحب مسند أبي حنيفة ومؤلف المعجم المشهور وبطريق أبي الفضل محمد بن عمر الترمذى كلاهما عن الطحاوى وأما رواية المغاربة فبطريق أبي القاسم هشام بن محمد بن أبي خليفة الرعينى عن الطحاوى . وهو حمل اليهم كتاب

محمود بن أحمد بن مسعود القونوى . ومنها شرح الصدر على بن محمد الأذرعى . وتلك الشروح توجد فى الخزانات بكثرة ولها شراح سوى ذلك . وطبع شرح لمجهول ينسب الى المذهب الحنفى زورا ينادى صنع يده بانه جاهل بهذا الفن وأنه حشوي مختل العيار (ز)

بيان مشكل الحديث المعروف بمشكل الآثار وكتاب الأشربة للطحاوى أيضا كما يظهر من فهرس أبى بكر بن خير الإشبيلى (٢٠٠ و ٢٦٢) وقد أطال السخاوى بيان ذكر أسانيده المتشعبة فى معانى الآثار سماعا، لخصها المحدث عبد القادر بن خليل المدنى خطيب المنبر النبوى المعروف بكدك زاده فى كتابه (المطرب المعرب الجامع لأسانيد أهل المشرق والمغرب) وساق أسانيد جمع من شيوخه إلى الحافظ محمد ابن عبد الرحمن السخاوى سماعا عليه ثم ذكر أسانيد السخاوى جماعه عن جماعة فى الكتاب إلى الطحاوى رضى الله عنه ويطول الكلام لو نقلناها كلها فليرجع من شاء إلى المطرب المعرب وهذا الثبت أرويه مكاتبة عن المحدث المعمر الحسين بن على العمرى اليمانى عن أحمد بن محمد بن يحى السياغى الصنعانى عن الحسن بن أحمد بن يوسف الرباعى الصنعانى عن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الأمير عن جامعه عبد القادر بن خليل (ح) وأرويه مشافهة عن القاضى أبى طلحة محمد صدر الدين عن محمد بن سليمان الجوخدار عن سعيد الحلبى عن اسماعيل بن محمد المواهبى عن عبد القادر بن خليل المذكور. وساق البدر العينى فى شرحه سنده رواية عن الزين تغرى برمش الفقيه عن الجلال الخجندى عن العفيف عبد الله الغبادى عن عبد الرحمن بن عبد الولى اليلدانى عن الضياء المقدسى والخشوعى ومحمد بن عبد الهادى عن أبى موسى المدينى سماعا على اسماعيل بن الفضل السراج عن أبى الفتح منصور بن الحسين بن على عن أبى بكر ابن المقرى عن الطحاوى ثم ساق العينى سنده بطريق العز بن جماعة وسندى إليه فى الاثبات التى رويتها فى التحرير الوجيز - راجع المعجم المفهرس لابن حجر واتحاف الأكابر وثبت محمد الأمير المصرى وغيرها. وساق أبو الوليد محمد بن رشد الجد سنده فى كتاب مشكل الحديث للطحاوى قائلا حدثنى به أبو على الحسين بن محمد الغسانى قال أخبرنا أبو عمر أحمد بن يحيى بن الحارث قال أخبرنا أبى قال أخبرنا

أبو القاسم هشام بن محمد بن أبى خليفة الرعينى عن أبى جعفر الطحاوى ». وأما العقيدة فقد قرأها عبد القادر القرشى على بدر الدين محمد بن منصور الجوهرى سماعه من بدر الدين محمد بن أيوب بن عبد القاهر الحلبى سماعا من ابن العديم أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله قال أخبرنا أبو الخطاب عمر بن ايلمك أنا الشريف النسابة محمد بن اسعد بن على الحسينى حدثنا أبو الطاهر عبد المنعم بن موهوب بن أحمد بن المقرى أخبرنا أبو الحسن العكلى قال أخبرنا أحمد بن القاسم بن ميمون العبيدلى أخبرنا جدى ميمون بن حمزة العبيدلى عن شيخه الطحاوى المؤلف رحمهم الله تعالى وإيانا وغفر لنا ولهم ونفعنا بعلومهم. وكان عندى نسخة من العقيدة المذكورة بخط ابن العديم السابق ذكره وعليها تسميعات متواليه ، وهو معروف باجادة الخط المعروف بالمنسوب فغرقت مع ما كنت أستصحبه من الخطوط النادرة وسائر الكتب فى حادث انقلاب مركبنا فى البحر الأسود تجاه (آقجة شهر) فى أحلك أيام الشتاء بهياج البحر ، وأنجانا الله سبحانه من الغرق المحقق بمحض فضلة سنة ١٢٣٦ ﻫ أثناء عودى من قسطمونى إلى الآستانة ولله الأمر وله الحكم : وذكر الكورانى سنده فى عقيدة الطحاوى فى الأمم (٩٠) بطريق الشرف الدمياطى إلى أبى بكر الدامغانى عن الطحاوى . ولو أخذت أسرد أسانيدى الى الاثبات التى ترفع أسانيد كتب الطحاوى اليه لطال ذلك وأمل فلنكتف بهذه الالمامة اليسيرة .

وفاة الطحاوى ومدفنه وبعض أسرته

قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان فى ترجمة الطحاوى : (أنه توفى سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ليلة الخميس مستهل ذى القعدة بمصر ، ودفن بالقرافة وقبره مشهور بها) . وقال البدر العينى فى نخب الأفكار : (رأيت فى مجموع جمعه بعضهم عن علماء مصر ، يذكر أماكن وبقاعا من مصر وبعض علمائها يقول فيه : إن قبر أبى جعفر الطحاوى إذا جاوزت الخندق على يمين الطالع الى مسجد محمود وهو قبر كبير مشهور) أقول إن الكلام فى الخندق ومسجد محمود طويل وهما مشهوران فى التاريخ وكتب الخطط . لكن تغيرت معالم ذلك العهد . وقبر الطحاوى اليومى يعرف بأنه فى شارع على يمين الشارع السالك الى الامام الشافعى موازياً له عند منتهى الترام الموصل إلى الشافعى . ففي الشارع الأيمن الموازى لشارع الشافعى يوجد ضريح الطحاوى على اليمين تحت قبة أثرية حذاء شارع الطحاوية الذى هو على اليسار فى منتهى الترام . وعلى قبره شاهد مكتوب عليه تاريخه وعليه مهابة . وتحت القبة موضع خال لاشاهد عليه . ويظهر أن السيد أحمد الطحاوى مدفون هناك . حيث كان طلب فى حياته أن يسمح بدفنه هناك من المشرف على ضريح الطحاوى إذ ذاك — وهو المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى فسمح له بذلك كما فى تاريخه المشهور عند ترجمة الطحطاوى . والأزد بفتح فسكون قبيلة مشهورة من قبائل اليمن . والحجر بفتح الحاء وسكون الجيم فخذ من قبيلة الأزد . وهذه غير أزد شنوءة ويقال للأولى أزد الحجر تمييزاً لها عن الثانية . والطحاوى منسوب إلى أزد الحجر هذه . وفى طحا اختلاف لكن الصواب فيما يظهر أن طحا التى نسب الطحاوى هى طحا أشمونين. وينسب الطحاوى جيزيا أيضا لسكناه بالجيزة . وكان أبوه من أهل الدين والخير وسمع الطحاوى من أبيه أيضا ووفاة والده كانت سنة ٢٦٤ هـ عام وفاة والده خاله اسماعيل المزنى . وأما ابنه

على بن أحمد الطحاوى فمن أهل الفضل والنبل أيضا تخرج على والده فى العلوم وحكي القضـــاعى أن أبا الحسن على بن أحمد الطحاوى كان يشرف مع رفيق له على بناء مسجد بالجيزة بأمر الإخشيد وإشارة الكافور ولما احتاجوا الى عمد للجامع أخذ رفيقه من عمد كنيسة بالجيزة من غير علم أبى الحسن وأقر ذلك أهل الشأن فترك أبو الحسن الطحاوى الصلاة فيه فيدل هذا على أن هذا الشبل من ذاك الأسـد . وتوفى أبو الحسن الطحاوى فى ربيع الآخر سنة ٣٥١ هـ كما فى تاريخ ابن الطحان فى ظاهرية دمشق(١) . وترجم أبو المحاسن للطحاوى فى النجوم الزاهرة وقال : كان إمام عصره بلا مدافعة فى الفقه والحديث واختلاف العلماء والأحـــكام واللغة والنحو وصنف المصنفات الحسان وكان من كبار فقهاء الحنفية اهـ رحمـه الله وأعلى مقامه فى الجنة ونفعنا بعلومه . وكان الفراغ من تحرير هذه الرسالة بتوفيق الله سبحانه عصر يوم الثلاثاء ٢٤ من شهر شعبان المبارك من سنة ١٣٦٨ هـ بقلم الفقير اليه سبحانه محمد زاهد الكوثرى خادم العلم فى اصطنبول سابقا .

غفر الله لى ولوالدى ولمشايخى ولسائر المسلمين وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا
أن الحمـــد لله رب العـــالمين

---

(١) وفى تاريخ ابن الطحان ما نصه : (على بن أحمد بن سلامة بن سلمة الازدى الطحاوى أبو الحسن ، يروى عن النسائى وغيره حدثونا عنه ، توفى فى ربيع الاخرى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة اهـ) على ما نقـله لى الاخ العزيز الاستـاذ الاديب السيد سعيد الافغـانى الدمشقى فأشكره على تفضله بذلك (ز)

فهرس الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الهادى إلى الطريق المستقيم .

أما بعـــد :

يسر مطبعة الأنوار المحمدية أن تقدم إلى الراغبين العاملين بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كتابا من أهم كتب الأحاديث النبوية الصحيحة سنداً ومتناً ألا وهو كتاب « معانى الآثار » للإمام أبى جعفر الطحاوى محدث مصر فى عهد أحمد بن طولون . وله عدة كتب (مذكورة بداخل هذه الرسالة) لم تطبع بعد ولم تخرج إلى عالم الوجود لندرة مخطوطاتها وشكراً لله أن جعل فى هذا العصر أناساً يعملون على جمع هذه الجواهر النادرة من شتى بقاع الأرض ، جزاهم الله عن الإسلام خيرا ووفقنا وإياهم إلى إظهار هذه الكتب القيمة إلى عالم الوجود بطريقة الطباعة الحديثة الجميلة .

وتحت الطبع « مختصر الفقه للطحاوى » وعليه تعليقات من « شرح المختصر » للطحاوى ، حتى يعم نفعه، والله ولى التوفيق .

كما نشكر القائمين على قسم المخطوطات بجامعة الدول العربية على ما يبذلوه من من جهد فى جمع مخطوطات التراث الاسلامى من جميع مكتبات العالم بطريقة الميكروفيلم حتى يكون فى متناول كل من يستطيع نشر هذا التراث الاسلامى العظيم ؟